

يوسف منصر
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

الخطاب اللساني المغربي
اتجاهاته ومضامينه

الملخص :

تندرج هذه الدراسة في إطار تيار لساني جديد ما فتئ يتبلور في الثقافة العربية اللسانية الحديثة؛ وأعني به الاتجاه اللساني النقدي، الذي يعنى بتتبع الحركة اللسانية العربية من خلال ما تقدمه من خطابات لسانية متعددة الاتجاهات، وكذا الأعلام اللسانيين الذين أغنوا النشاط اللساني العربي عامة والمغربي خاصة بمختلف المقالات والمصنفات.

وسنركز في هذه الدراسة على المحاور الآتية :

- الخطاب اللساني.
- الخطاب اللساني المغربي.
- أنماط الخطاب اللساني المغربي.
- مضامين الخطاب اللساني المغربي.
-

Résumé:

Discours linguistique maghrébin Tendance et contenu

Cette étude fait partie d'un courant nouveau qui prend de plus en plus forme dans le paysage de la culture et de la linguistique arabe moderne; c'est une linguistique critique qui se penche sur les différents tendances du discours linguistique ainsi que le parcours de certains linguistes arabes en général, et les maghrébins en particulier et leurs contributions dans ce domaine.

L'étude s'est concentrée sur les axes suivants:

- le discours linguistique.

- Le discours linguistique maghrébin.
- Modèles des discours maghrébins.
- Contenus des discours linguistiques maghrébins.

توطئة:

تتطور العلوم على اختلاف أنواعها و مباحثها، وفق صعيدين هما:
 إمّا بالتراكم، و إمّا بالقطيعة، فعلى الصّعيد الأوّل تضاف مجهودات (المحدثين) إلى مجهودات المتقدّمين (القدماء)، مع بقاء مجال الرّؤية موحّداً مستمراً على الوتيرة نفسها، و على الصّعيد الثّاني تكون حركيّة علم من العلوم مبنية على الاتّصال و الانفصال في آن واحد، فبقدر ما يمعن المتأخرون في تغيير مسارات البحث و وسائله النظريّة و المنهجية، و غاياته التي يصبو إليها، بقدر ما يكونون قد دفعوا بتلك المعرفة أشواطاً إلى الأمام، أو بثّوا فيها نفساً جديداً، غير أنّ الأهم بين هذا و ذلك هي لحظة وقوع الاتّصال و حدوث الانفصال؛ إنّها نقطة انعطاف و توقّف يستدير فيها العقل إلى السوراء لمعاينة الصّرح المعرفي الذي شيّده و يحاول تقويمه و تقييمه، تحسباً لمواصلة المسيرة (أي الصّيرورة المعرفية)، و طرح لآفاق علمية استشرافية جديدة.

إنّ تلك اللّحظة التي تقف فيها الذات العارفة لمعرفة معيّنة معاينة و محلّلة و ناقدة، ليست إلاّ محاولة منها لقراءة خطابها المعرفي ذاته، من خلال أدوات قرائية تصطنعها لنفسها، فتتظر بذلك إلى منجزها عبر محطات زمنية متعاقبة، و وفق رؤى ليست بالضرورية متجانسة.

هنا إذن ينتزل تصوّر مداخلتنا، التي نسعى من خلالها إلى مقارنة الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ - و بعيداً عن كلّ نزعة إقليمية - من خلال تبيان ماهيته، و الأنماط الخطابية اللّسانية التي يزخر بها، و من ثمة المضامين التي يفرزها و يتأسس عليها كلّ لون من ألوان الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و عليه ستتوزّع مداخلتنا في عمومها على المباحث الآتية:

1- الخطاب اللّسانيّ و الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ: ضبط مفاهيمي و مصطلحي:

2- أنماط الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ و فيه نتحدث عن:

- أ- الخطاب اللّسانيّ التأسيسيّ التعليمي.
- ب- الخطاب اللّسانيّ التراثي (القرائيّ الشّارح).

ت- الخطاب اللسانيّ المتخصّص (الوظيفيّ/ التوليديّ التحويليّ).

ث- الخطاب اللسانيّ النقديّ.

3- مضامين الخطاب اللسانيّ المغربيّ من خلال عرضنا لبعض القضايا اللسانية التي استوقفت مختلف الأنماط المذكورة: نماط المذكورة

1- الخطاب اللسانيّ: LE discours Linguistique:

الخطاب العلميّ خطاب متعدّد الأنماط، فثمة خطاب علمي واصف وخطاب علمي تقرير وخطاب علمي تفسيري، وخطاب علمي جماعي، ولكل منها بنية وخصائصه وأهدافه التي تميزه عن غيره وإن تقاطع معها في بعض السمات. والخطاب اللساني يمكن اعتباره لونا من ألوان الخطاب العلمي، يأخذ هو أيضا بحظه من بعض مميزات الخطابات العلمية المذكورة آنفا ويستقل بخصائص لا تتوافر في غيره.

فالخطاب اللساني «خطاب علمي له حد أو ماهية، مادة أو موضوع أو ظاهرة وغاية أو أهداف يود تحقيقها من خلال تطبيقاته المختلفة»⁽¹⁾، أو هو بتعبير أكثر دقة «التحدث عن حديثنا عن اللغة»⁽²⁾ وعلى هذا الأساس يجوز لنا اعتبار كل كلام عن الظاهرة اللغوية ويتصف بالعلمية خطابا لسانيا فما كتبه دي سوسير ونشومسكي وعبد الرحمان الحاج صالح، والفاسي الفهري، والمسدي، وأحمد المتوكل وغيرهم كثير، كلها خطابات لسانية لأنها تتخذ اللغة كمادة أو موضوع بغرض بحثها وفق معطيات منهجية محددة.

2- الخطاب اللسانيّ المغربيّ:

بعد أن تبيّنا حدود مقصدنا بمصطلح الخطاب اللسانيّ؛ فإنّ إلحاق الدال (المغربيّ) وإضافته لهذا المصطلح، لن تخرج به عن دلالاته التي رصدنا، غير أنّه ينزاح به إلى حدود زمانية و مكانية نعيّنها فيصبح المقصود ذلك الخطاب اللسانيّ الذي يتحرّك في فضاء جغرافيّ محدّد وتمّ إنجازُه و تحقيقه - أي الخطاب اللساني بوصفه تفكييرا محكوما بالعلمية - منذ أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا، و من قبل لسانيين مغاربة -

نشير إلى المغرب العربي - كالدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من الجزائر، و عبد القادر المهيري، و عبد السلام المسدي من تونس، و عبد القادر الفاسي الفهري، و أحمد المتوكل، و مصطفى علفان من المغرب، و غيرهم من اللسانيين الذين يضيق المجال لذكرهم أجمعين و عليه فإن التوجه إلى الخطاب اللساني المغاربي تمليه اعتبارات حضارية الهدف من ورائها تبيان الجهود اللسانية لعلماء اللسانيات المغاربيين، بوصفهم جزءاً من الحركة اللسانية العربية عامة من ناحية وللاهمية البالغة التي تكتسبها تلك الجهود، و ما تتميز به من ناحية أخرى، دون أن يكون لكلامنا هذا الاستخفاف أو الانتقاص من الجهود اللسانية المشرقية؛ إذ أنها تبقى رائدة، من حيث أن لها الفضل في ظهور الثقافة اللسانية في العالم العربي و خاصة الجامعة المصرية⁽³⁾.

غير أن الذي حملني على هذا الوصف أو التفويق للخطاب اللساني المغاربي، جملة من العوامل الموضوعية لعل أهمها يكمن في كون بداية التجربة اللسانية المغاربية لم تكن عشوائية أو مصادفة، بل " تحاشت الطفرة، و جانبت الارتجال، ففي الجزائر أنشئ سنة 1966 معهد العلوم اللسانية و الصوتية، و ظل يؤسس العمل المثابر حتى أصدر سنة 1971 مجلته المتخصصة اللسانيات* التي أدت رغم تعثرها وظيفة سامية في ترسيخ الوعي المعرفي العميق، و في تونس بدأ المرحوم صالح القرمادي المشروع الكبير بترجمة كتاب جون كانتنو " دروس في علم أصوات العربية" عام 1966، ثم سنة 1975 في ترجمة دروس دي سوسير و في أثناء ذلك انصرف من جهته إلى ترجمة كتاب أندري مارتينييه "مبادئ في اللسانيات العامة" فأتمه و وافاه الأجل قبل أن يخرج إلى الناس، و في جهد مواز لكل ذلك أنجز الباحث الطيب البكوش ترجمته لكتاب جورج مونان " مفاتيح اللسانيات " سنة 1981.⁽⁴⁾

إضافة إلى هذا العمل التأسيسي الساعي إلى غرس البحث اللساني في التربة العربية عامة بشكل يضمن نمواً طبيعياً لها، نجد خصوصية أخرى للخطاب اللساني المغاربي تمنحه نوعاً من الامتياز و أعني بذلك التجمعات العلمية الأولى التي احتضنتها بلدان المغرب العربي، و هي مهمة بالنظر إلى الظروف التي عقدت فيها من ذلك: ندوة اللسانيات و اللغة العربية 1978⁽⁵⁾ و اللسانيات في خدمة اللغة العربية 1981⁽⁶⁾ و الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات 1983⁽⁷⁾، وهي ثلاثية احتضنتها الجامعة التونسية، و أعقب ذلك بسنوات أربع و تحديداً سنة 1987؛ ندوة تقدم اللسانيات في أقطار العالم

العربي⁽⁸⁾، التي احتضنتها الجامعة المغربية و بإشراف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، و يحسن بنا في هذا المقام أن نشير أيضا - علاوة على ما ذكرنا - اندراج الثقافة اللسانية في الحركات الجمعوية ذات الطابع العلمي، فالمغرب نسمع بجمعيّة اللسانيات التي يترأسها الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، و بالجزائر أُسس حديثا الجمعية الخليلية نسبة إلى النظرية الخليلية الحديثة التي يقول بها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح.

3- أنماط الخطاب اللساني المغربي:

يتميز واقع البحث اللساني المغربي و العربي على حدّ سواء بتعدد نماذجه و أنماطه، و هذا التعدد يعكس مبدئيا تعدد المرجعيّات أو الخلفيات التي تضبط و تحدّد هذا النموذج من الكتابة اللسانية أو ذلك. و سننعمد في عرض أنماط هذا الخطاب اللساني المنهجية نفسها التي اعتمدها الباحث: مصطفى غلفان في دراسته القيمة الموسومة بـ: " اللسانيات العربية: دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية و المنهجية"⁽⁹⁾؛ إذ لجأ إلى الثلاثية التي تحكم إنتاج كل خطاب مهما اختلفت طبيعته و هي: الموضوع و الغاية و المنهج، بيد أننا سنقتصر على العنصر الأخير في استخلاص نماذج الخطاب اللساني المغربي، على أن نرجأ النظر في النماذج التي تترتب عن النظر في الموضوع و الغاية إلى دراسة أخرى مستقلة.

إن المقصود بالمنهج كبؤرة لإفراز النماذج اللسانية التي نروم بحثها ليس إلا تبياناً " لوجهة النظر المتبعة في بحث موضوع معين"⁽¹⁰⁾، أو الطريقة التي تمّ وفقها التعامل مع الثقافة الجديدة الوافدة، و في هذا الإطار، نجد الباحث اللساني المغربي، قد سلك أربع طرق متباينة أو تعامل مع اللسانيات وفق أربع منهجيات هي:

1- **المنهج التعليمي:** " القائم على التوضيح و التبيان و الشرح، و ما يتطلبه كلّ ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة و الرسوم البيانية"⁽¹¹⁾ و عليه يتحدّد النمط الأول من الخطاب اللساني المغربي و هو الخطاب اللساني التعليمي أو التبسيطي، الذي يهدف إلى تسيير المعرفة اللسانية، و تلقين مبادئها إلى القارئ العربي سواء كان يلج عالم التخصص أو قارئاً ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك "⁽¹²⁾.

2- **المنهج القرآني:** و هو المنهج الذي يعتمد القراءة كآلية لإنتاج خطابيه اللساني، انطلاقا من وجود المادة محل القراءة، و هي في واقع البحث اللساني المغربي النصوص التراثية التي عنيت بمسائل عديدة و متنوعة من الظاهرة اللغوية، و من ثمة يتحدد النمط الثاني و هو الخطاب اللساني التراثي، أو لسانيات التراث على حد تعبير أحد الباحثين.⁽¹³⁾

3- **المنهج العلمي:** و المقصود بذلك مختلف المناهج التي تصطنعها اللسانيات في معالجتها للظاهرة اللغوية كالمناهج الوصفي و التفسيري و المقارن و غير ذلك، و منه يتحدد لدينا النمط الثالث و هو الخطاب اللساني الصّرف أو المتخصص المتقيد بخطوات البحث اللساني المعروفة في إطار الخطاب اللساني العالمي.

4- **المنهج النقدي:** و أعني به المنهج الذي يحتوي و يستوعب كلّ الخطابات المحددة آنفا من تعليمي و تراثي و لساني صرف بغية معاينتها كبنية خطابية عالجت اللغة و متعلقاتها، و نقد أسسها و مناهجها و كذا غاياتها التي تهدف إليها، و يترتب عن ذلك الإقرار بالنمط الرابع و الأخير من أنماط الخطاب اللساني المغربي و هو الخطاب اللساني النقدي، الذي تشهد كتابات كثيرة عربية كانت أم مغربية على وجه الخصوص بتناميته و مسيرته للمنجز من خلال الكتابات اللسانية المختلفة.⁽¹⁴⁾

النمط الأول: الخطاب اللساني التبسيطي أو التعليمي أو التأسيسي:

و يوسم في بعض الكتابات اللسانية النقدية بالتمهيدي⁽¹⁵⁾، و هو كما أوضحت خطاب ذو غاية تعليمية هدفه إشاعة الدرس اللساني و غرسه في منظومتنا المعرفية، و من بين الكتابات اللسانية المغربية التي تتحوا هذا المنحى أو يمكن إدراجها تحت هذا الصنف نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1. مباحث تأسيسية في اللسانيات لعبد السلام المسدي.

2. مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي.

3. البنيوية لمحمد الحناش.

4. مدخل إلى علم الدلالة لحمد يحياتن.

و يتأسس هذا الخطاب باعتقادنا على جملة من المسوغات التي تعطيه شرعية الوجود على خريطة البحث اللساني المغربي العام، و التي من بينها:

1. اعتبار اللسانيات جسما وافدا و غريبا عن الثقافة العلمية الموروثة، و أن إدماج هذا الجسم، و زرعه في التقاليد العلمية السائدة يتحقق من بين ما يتحقق به عبر تقديمه للمتعلّم خاصة و القارئ عامة لما يكفل له التعرف على تلك المنظومة المعرفية الجديدة، بعدما يكون التلقّي قد تمّ بشكل قبليّ و سابق من لدن من سيتولون مهمة تيسيره و تبسيطه، و بتعبير آخر نقل اللسانيات من إطارها العلميّ الدقيق إلى الإطار التعليميّ الذي يُعنى بتقديم المحاور الكبرى للدرس اللسانيّ، و شحن المتعلّم بكلّ المفاتيح المعرفية التي تمكنه على محور الزمن من تجاوز التعليميّ إلى العلميّ⁽¹⁶⁾.

2. التّصوّر القبليّ لمنشأ الخطاب التعليميّ أو التّبسيطيّ: إذ غالبا ما يصرح كتاب هذا النمط من الخطاب اللسانيّ، بأنّ ما يكتبونه أو ما يخرجونه من كتب (تحو هذا المنحى) هو بوجه: للمبتدأ أو إلى الذي يريد الاطلاع البدئيّ، أو الدّارس في الصّف الجامعيّ الفلانيّ، و غير ذلك من هذه الصّفات التي تؤكّد تواجد الكتابة اللسانية التمهيدية انطلاقا من وعي مؤلفيها، بانعدام مبادئ الدرس اللسانيّ لدى المتلقّي.

3. ضعف الجهد المبذول في مجال الترجمة اللسانية، فكأن اللسانيّ المغربيّ يفضّل القيام بالكتابة اللسانية التّبسيطيّة بناءً على ما فقهه من علم اللسان بشكل شخصيّ، على أن يخوض غمار ترجمة أحد الكتب المفاتيح في الدرس اللسانيّ الغربيّ⁽¹⁷⁾.

النّمط الثّاني: الخطاب اللسانيّ التّراثيّ:

يعدّ هذا النمط من أنماط الخطاب اللسانيّ المغربيّ، وليد الثّنائيّة التي شغلت و لا زالت الفكر العربيّ المعاصر، و هيّ: الأصالة و المعاصرة أو الحداثّة و التّراث، و التي أفرزت كما هو معلوم ثلاث رؤى متباينة.

أولهما: تتبنّى مقولات القدامى في شتّى ضروب المعرفة (الإنسانية خاصة) و تعتبر ما جاء به المحدثون، تكرار لما سبق أن بحث و أُلّف فيه.

وثانيهما: يمارس فعل القطيعة مع التراث (المنجز الفكري العربي القديم)، و يعتبره بنية مغايرة تاريخياً وثقافياً و معرفياً مقارنة بالخطاب الغربي أو خطاب الآخر.

وثالثهما ذو ميول توفيقية، يسعى أن يخفف من حدة التطرف التي تطبع الرؤيتين السابقتين، فيأخذ من مقولات القدماء و مقولات المحدثين ما يؤلف به خطاباً توفيقياً.

ولما كان الخطاب اللساني التراثي، مؤسساً على تلك الخلفية، أي ثقافة حمل الفرع على الأصل على حد تعبير عبد السلام المسدي⁽¹⁸⁾، فإنه سعى إلى تقديم المبررات التي تعطيه مشروعية الوجود، و تناول الظاهرة اللغوية من خلال النظر في قضايا لسانية معاصرة يعيون تراثية و التي نصوغها في الآتي:

1. إسقاط المرحلة الحضارية الإسلامية العربية إبان عهدها الزاهية من تاريخ البحث اللساني البشري عبر امتداده الزماني، فأشهر المصنفات الغربية التي أرخت للفكر اللساني البشري، تقفز على الفترة التي أعطى فيها علماءنا العرب القدامى الكثير من المباحث و الأفكار و النظريات حول اللغة⁽¹⁹⁾، و من ثمة يصبح الخطاب اللساني التراثي، في بعد من أبعاده المختلفة وصلاً لمفصول من حلقات الفكر البشري، و تنبئها إليه.
2. يرى أصحاب هذا الاتجاه، أنّ إعادة قراءة الفكر اللغوي القديم على ضوء المباحث اللسانية المعاصرة لا يمت بصلة إلى الفوارق السياقية المتباينة بين البحث اللغوي القديم و نظيره الحديث، مما يلغي - حسب رأي القائلين بمقولة الفوارق السياقية - كلّ جهد تقريبي أو توفيقية، بل إنّ القضية عندهم مرتبطة بالتراث ذاته من حيث قدراتنا على إعادة بعثه و تطويره، دونما حاجة إلى مقارنته بالحديث، وهم بذلك يعتبرون " قراءة التراث تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"⁽²⁰⁾، و يدعمون رأيهم بإمكانية تجدد التراث عبر إعادة قراءته، بالقرآن الكريم كونه رسالة لسانية، فهذا الأخير حسب وجهة نظرهم " كان من المفروض أن يتجدد نمط قراءته منذ نزوله أي منذ حلوله محلّ الوجود اللساني على لسان باثه الأول لاسيما أنّه نصّ خلو من الطلاسم أو الملغزات"⁽²¹⁾، إلّا أنّ تميّزه بصلاحيته الزمانية و المكانية عبر القراءات المتنوعة، يجعل الحضارة العربية الإسلامية تقوم على مبدأ النشوء و التولد يتناسل الموروث عبر الزمن فتتولد من

الموجود الواحد كائنات متعدّدة على قدر ما تتولّد من النّصّ نصوص تلو النّصوص»⁽²²⁾.

3. اعتبارهم نصوص التّراث اللّغويّة مطابقة لمباحث الدّرس اللّسانيّ الحديث، و أنّ الفارق الوحيد لا يعود لخصائص تمسّ هذا الصّنف من البحث أو ذلك، بل لما وفرته التكنولوجيا من تقنيّات و آلات يسّرت عمل اللّسانيّ المعاصر، و لعلّ الأمر بهذه الكيفيّة سيغدو مسوّغا إلى القول ليس بالتطابق فحسب، بل "بتفويق القديم على الحديث"⁽²³⁾.

النّمط الثّالث: الخطاب اللّسانيّ المتخصّص:

يعتبر هذا النّمط من أنماط الكتابة اللّسانية المغاربيّة الأقرب إلى ممارسة الفعل اللّسانيّ، مقارنة ببقية الأنماط، و السّبب في ذلك أنّه لا يتناقض و موضوع اللّسانيّات نفسها، فإذا كان موضوع هذه الأخيرة هو دراسة اللّغات الطّبيعيّة لذاتها و لأجل ذاتها على حدّ تعبير "دي سوسير" فإنّ هذا الخطاب لا يحيد عن هذا التّحديد، فنراه - و كما سنعرض عند حديثنا عن المضامين- يشتغل على بنيات اللّغة العربيّة: الصّوتيّة و الصّرفيّة، و التّركيبية، و الدّلاليّة، و المعجميّة، متوسّلا في ذلك بالأسس النظريّة و المنهجية التي أقرّها البحث اللّسانيّ الحديث، بخلاف الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ الذي يبدو "متعاليا على موضوعه"⁽²⁴⁾ أو الخطاب التّعليميّ، التي يعدّ على هامش اللّسانيّات أو في مدخلها، مثلما تشي بذلك العديد من المصنّفات التي تتدرج ضمن هذا البحث.

و للخطاب اللّسانيّ بدوره جملة من الأسباب التي أسّست لظهوره و التي تعود باعتقادي إلى سببين هما:

1. اعتبارها البحث اللّغويّ القديم بآلياته النظريّة و أدواته المنهجية و منظومته المصطلحيّة، منجزا نظر في بنية لسانيّة مغايرة للبنية اللّسانية المتداولة حديثا.
2. ربط البحث اللّسانيّ، بمهمة التّفسير، و ليس الوصف فحسب كما يذهب إلى ذلك أصحاب التيار التّوليديّ التّحويليّ، في نقدهم للاتّجاه الوصفيّ، و أنّ عدم الاكتفاء بالوصف و تجاوزه إلى التّفسير حقيق بأن يوقف الباحث على المعادلة المشتركة بين مختلف الأنظمة النّحويّة للّغات الطّبيعيّة (الكليات اللّسانية).

4- النمط الرابع: الخطاب اللساني النقدي:

وهو خطاب مؤسس على خطاب آخر يسبقه زمنيا، ووغاياته أن يتتبع منجزات الخطاب اللساني المغربي على اختلاف أنماطه وذلك بالنظر إلى الأسس النظرية التي يصدر عنها والأدوات المنهجية والإجرائية التي يتوسل بها والنتائج التي حققها وتكمن أهمية هذا النمط في الدور الذي يلعبه في إطار الثقافة اللسانية العربية والمتمثل أساسا في تقويم الحركة اللسانية المغربية وتحديد موقعها من صميم النشاط اللساني (مدى قربها أو بعدها عنه) مما يسهم في إثرائها من ناحية وتوجيهها من ناحية أخرى.

3. مضامين الخطاب اللساني المغربي:

تتباين مضامين الخطاب اللساني المغربي بحسب الأنماط التي حددناها؛ إذ أنّ كلّ نمط يفرز مضامينه الخاصة به، مع ملاحظة أخرى هي أنّ المضامين التي يتناولها كل نمط خطابي مرتبطة بالغايات والأهداف التي يرسمها هذا الخطاب أو ذلك.

أ- مضامين الخطاب اللساني المغربي التأسيسي أو التعليمي:

يُجمل أحد الباحثين المهتمين بإشكالات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية محاور الدرس اللساني التأسيسي في "النظريات اللسانية" (25) من حيث التطرق إلى "مبادئها و مناهجها، واتجاهاتها وأعلامها" (26)، ونفهم من هذا التحديد أنّ الخطاب اللساني التأسيسي من خلال مضامينه العامة يسعى إلى تشكيل مداخل، أو مقدمات أو محاضرات، للمعرفة اللسانية موجّهة خصيصا للقارئ المبتدئ أو الجديد على هذا الميدان.

و إن شئنا التفصيل في ما أُجمل من مباحث الكتابة اللسانية التأسيسية أو التعليمية، فإنّه يمكن حصرها بعد النظر في ما تشترك فيه الكتابات اللسانية التعليمية - في الآتي:

1. التعريف باللسانيات كعلم هدفه الدراسة العلمية للغة.
2. المبادئ العامة للسانيات مع التركيز على الثنائيات السوسيرية المعروفة (لغة/كلام)، (دال/مدلول)، (دياكروني/سانكرون)، (محور التراكيب/ محور الاستبدال).
3. التعريف بفروع الشجرة اللسانية أو التخصصات اللسانية المختلفة مثل اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات النفسية، اللسانيات التاريخية وغيرها.
4. التعريف بأهم الاتجاهات أو المدارس اللسانية، وذلك بشكل يتسم بالعمومية، لا التفصيل.

5. التعريف بالمناهج ما قبل ظهور اللسانيات: كالتاريخية و المقارنة، ثم مع ظهور اللسانيات من بنوية و وصفية و تفسيرية تحليلية.

ب- مضامين الخطاب اللساني المغربي التراثي القرائي أو الشارح:

تتحدد مضامين هذا الخطاب انطلاقا من آلية القراءة التي يعتمد عليها و طبيعتها أيضا، فإن كانت قراءة تروم الشرح و التبيان لما هو تراثي بغرض مساواته مع المنجز اللساني الحديث، فنكون أمام مضامين تختلف في جزئياتها لا في طابعها العام مع القراءة التي تبحث في التراث عما هو ثمين و قابل للانبعاث من جديد و ذلك من باب إحداث تواصل بين قديمنا و حديثنا، على غرار ما يقوم به اللساني الجزائري الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في إطار ما أصبح يعرف بالنظرية الخليلية الحديثة.

و يمكن تلخيص مضامين هذا الصنف من الخطاب في الآتي:

1. التعريف باللسانيات من منظور مغاير لمنظور الكتابة اللسانية التأسيسية أو التعليمية؛ حيث أن الأولى تسعى إلى بناء هذا التعريف من داخل التراث و ليس من داخل المعرفة اللسانية، فإذا كانت اللسانيات عبارة عن النظر العلمي في اللغة، فإن فحص التراث سيكشف هو أيضا عن نظر علمي، و وعي أصولي بالظاهرة اللغوية.
2. التعريف بموضوع اللسانيات وهي اللغة، وذلك بالكيفية نفسها التي يُعرض بها العلم اللساني؛ مع التركيز على تعريفات القدماء للغة، كتعريف ابن جنّي للغة الذي صار نصّا، لا تخلو منه أية كتابة لسانية تراثية.
3. تناول الظاهرة اللغوية من طرف بيئات معرفية تراثية مختلفة إذ لا يكتفي أصحاب هذا الاتجاه، بمقارنة نتائج البحث اللساني انطلاقا مما أنتجه النحاة أو اللغويون عموما، بل يتعدى شأن المقارنة و القراءة و الشرح إلى بيئات أخرى، كالفلسفة و علماء الدين و النقاد و غيرهم.
4. الإشارة إلى احتواء التراث على بعض التخصصات اللسانية المعروفة، فعلم الدلالة مثلا ، تناوله القدماء من خلال أكثرية مباحثه و إن لم يكن ذلك بالتسمية نفسها، فضلا عن إشارتهم أيضا إلى تناول البحث اللغوي القديم لبعض ثنائيات الدرس اللساني الحديث.

ج- مضامين الخطاب اللساني المغربي المتخصص أو العلمي:

تتميز مضامين هذا النوع، بالانخراط المباشر في طلب الخطاب اللساني العالمي، و محاولة مواكبته من حيث ما يتوصل إليه من نتائج، و ما يتوسل به من مناهج، و هو أقرب الأنماط اللسانية المغاربية المذكورة إلى الممارسة اللسانية المطلوبة من خلال اعتماده " اللغة العربية موضوعا يشتغل به و يتمحور حولها كل اهتمامه، و يتم النظر للغة العربية باعتبارها نسقا صورياً أو وظيفياً يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التحليل اللساني الحديث"⁽²⁷⁾، و عليه تحدت مضامين هذا الخطاب باعتقادي في نقطتين هما:

1. نقد نمطي الخطاب اللساني السالفين و بخاصة الخطاب اللساني التراثي، باعتبار إما أنهما لا ينتجان كفاءات علمية في مجال اللسانيات، أو أنها لا تعني واقع البحث في اللغة العربية بشيء مهم.

2. محاولة تقديم بديل نظري و منهجي، يسمح بإعادة بناء نحو جديد لغة العربية، على أساس أن الجهاز التفسيري للغة العربية و الذي اقترحه القداماء قد نقد من عدة مواضع، إلى جانب اعتقاد أصحاب هذا الاتجاه، بعدم صلاحيته و تجاوز الزمن له، و هنا ينتزل التيار التوليدي التحويلي، ممثلاً في أعمال الفاسي الفهري و تلامذته، إلى جانب التيار الوظيفي كما تعكسه أعمال الباحث المغربي أحمد المتوكل.

د- مضامين الخطاب اللساني المغاربي النقدي:

غاية هذا النوع هو تتبع النشاط اللساني المغاربي، و محاولة نقده وتقويمه، و على الرغم من قلة مثل هذه الكتابات التي تعكس أبعاد هذا الاتجاه من الكتابة اللسانية المغاربية العربية فإنه يمكن رصد مضامينه التالية:

1. الاستعراض التاريخي لنشأة البحث اللساني العربي عموماً.
2. نقد الأسس النظرية و المنهجية لنماذج الكتابة اللسانية المذكورة آنفاً.
3. استشراف الأبعاد الجديدة للبحث اللساني المغاربي.

خاتمة:

لقد سعيت من خلال هذا العمل المتواضع إلى محاولة رسم الملامح العامة للخطاب اللساني المغربي عبر التعريف به، و شتّى الاتجاهات التي تشكله، إلى جانب مضامين أو مواضيع هذه الاتجاهات، و إن كنا نعترف مبدئيًا بكون العمل قد يكون مغفلاً لجوانب على حساب أخرى و الاختصار دون البسط، و غير ذلك مما تفرضه بعض المقامات كأوراق العمل العلمية أو كتابة المقالات.

الهوامش:

- 1- الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة: بشير إيرير، مجلة الرافد، العدد: 47، السنة: 2001، ص 87.
- 2- مباحث تأسيسية في اللسانيات: عبد السلام المسدي، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ب ط، ص.
- 3- نشأة درس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي: فاطمة الهاشمي بكوش، إيتراك للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص 12 و ما بعدها.
- 4- ما وراء اللّغة، بحث في الخلفيات المعرفية: عبد السلام المسدي، مؤسّسة بن عبد الله للنشر تونس، 1994، ب ط، ص 44.
- 5- أنظر: أشغال ندوة اللسانيات و اللّغة العربية، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة اللسانيات، تونس، 1978.
- 6- أنظر الملتقى الدولي: اللسانيات في خدمة اللّغة العربية، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، سلسلة اللسانيات، تونس، رقم 5، 1981.
- 7- أنظر الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، سلسلة اللسانيات، تونس، رقم 8، 1983.
- 8- أنظر: تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، الرباط، 1987.
- 9- اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية و المنهجية: مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني- عين الشق، سلسلة رسائل و أطروحات، رقم 4، الدار البيضاء، المغرب، ب ط، ب ت.
- 10- المصدر نفسه، ص 90.
- 11 اللسانيات في الثقافة العربية و إشكالات التلقي: حافيط إسماعيلي علوي، مثال (مخطوط).
- 12- المصدر السابق.
- 13- اللسانيات العربية الحديثة: مصطفى غلفان، ص 131 و ما بعدها.
- 14- من الكتابات اللسانية النقدية العربية و المغاربية نذكر:

1. اللسانيات العربية الحديثة: مصطفى غلفان (المغرب).
2. تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حافيظ إسماعيلي.
3. المساجلة بين فقه اللغة و اللسانيات: ألفة يونس (تونس).
4. نشأة درس اللساني العربي الحديث: فاطمة الهاشمي بكوش (مصر).
- 15- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حافيظ إسماعيلي علوي (مقال مخطوط).
- 16- أنظر: النص القرآني بين المرغوب فيه و المنجز، مليكة بوراوي: مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع:14، الجزائر، 2005، ص 81 و ما بعدها.
- 17- أنظر: الترجمة في تجربة المغرب العربي؛ علي القاسم، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2002، ص43 و ما بعدها.
- 18- قضية البنيوية: عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ب ط، 1995 ، ص12.
- 19- أنظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981.
- 20- مباحث تأسيسية في اللسانيات: عبد السلام المسدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ب ط، ص30.
- 21- المصدر السابق، ص30.
- 22- المصدر نفسه، ص30.
- 23- المساجلة بين فقه اللغة و اللسانيات: ألفة يوسف، دار سحر للنشر، تونس، ط1، 1997، ص 80، 81 .
- 24- اللسانيات العربية الحديثة: مصطفى غلفان، ص 131 و ما بعدها.
- 25- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة و إشكاليات التلقي: حافيظ إسماعيلي علوي (مقال مخطوط).
- 26- المصدر السابق.
- 27- اللسانيات العربية الحديثة: مصطفى غلفان، ص 92 .